

التحيز ثم قلت ما حال من جعل الظن دون اليقين والتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأي لي خصماً تنكبت الوقوع في خلافه فلم أجد إلا الإدبار عن إقبالك سبيلاً ولا مع ذلك في طاعة الشوق حجة

فتغييت السبيل بين ذلك إلى إعطائك طرف حبل الإخاء في غير الخروج من سبيل التخير وكرهت أن تستعبدني بالإخاء قبل أن أعرفك بحسن المنكة وأن تستظهرني عنى الأعداء قبل أن أعرفك بعدل السيرة وأن تستضيء بي في ظلم الجهل قبل أن أعرفك بعقد النب وأن تستمكن بي في المطالب قبل أن أعرفك بقصد الهمة فقدمت إليك الترحيب والعدة وأحسنيت عنك المفاوضة والثقة وتنظرت أن تشمر لي فأذوق جنالك فأعرفك بالمذاقة في الطعم إما لافظاً وإما مستبغاً فإن كان اللفظ لم أكن من الرأي في قلبه وإن كان الاستبلاغ ذوقتك ما تشوقت إليه مما ادعيت مني به الخبرة وأول ما أنا معتبر به منك المواظبة عنى استنجاح ما سألت أو السأمة له فإن كانت المواظبة فأحد الشهود المعدلين وإن كانت السأمة فأنت عن حمل ما تعطي أضعف منك عن جميل ما تطنب. طالعي بكتبتك فإنك قد حذنت قبلي عقداً من التحفظ وعقدت عقداً من التقرب والسلام.

### الصنائع الإسلامية

(تابع ما قبله)

إذا أطلق لفظ النقش عند المسلمين فلا ينبغي أن يفهم منه أنه يراد به تمثيل صورة ذات روح بل قد تكون تلك الصور نقوشاً يراد بها أمر آخر. ومما يعجب له أنه يوجد في هذا الكتاب الوجيز إشارة ضعيفة لصورة فارس يمسك رمحاً بيده نُقش على القبة

في مسجد بغداد. ولم يزد المسيو ميحون بأن هذا الفارس يشير إلى الناحية التي يجيء منها الهواء. فكان هذا التمثال ضرباً من دواراة عنى الهواء صنعت من الحديد المصفح وجعنت في الهواء تمثل فارساً والرمح بيده وقد ذكروا أسطورة بشأنها. فكان العامة يعتقدون أن هذا الفارس يدل بقوة تعويذة معه عنى الناحية التي تنشأ فيها ثورة من ممكلة الخلفاء العباسيين.

وليس النقش عند المسلمين إلا خادماً خاضعاً للهندسة عنى نحو ما كانت الفلسفة من عنم الكلام في القرون الوسطى. والأسود التي رآها ابن بطوطة قد صنعت من الرخام المستخرج في أفروجيا فرجيا في آسيا الوسطى حيث يكثر فيها. وبنغ من احترام السلاجقة للنقش أن كانوا يتولونه في الحوائط. وليس لتمثال من الخشب التي صنعها صناع من المسلمين بأمور الطولونيين علاقة بالصنائع الإسلامية بل هي فرع متأخر من فروع الصناعة الوطنية. وقد بدأت في مصر صناعة النقش للزينة باستعمال الكنس والرخام غير المسحوق بالآلة بل بيد صنع الأيدي وأقدم ما وجد من ضرورها شكل مهندس مزوج بعروق خيالية ظريفة. أما الحجر للزينة فقلنا يوجد إلا في المساجد التي يرد عهدهما إلى القرن الرابع عشر وعنى العكس في إسبانيا فإننا نرى هذه الصناعة مزهرة فيها منذ أوائل الخلافة الأموية.

وقد بقي لنا شاهد واحد منها وهو مغسل الوضوء المصنوع من الرخام ولا يزال محفوظاً إلى الآن في متحف الآثار في مدريد وجون الرخام وحوض الأسود في قصر الحمراء معروفان موصوفان. إلا أن تزيين المصانع ما كان إلا من الجبس موضوعاً في

القوالب وضعاً محكماً مما يبدو في هيئة بديعة تفوق أجهل نموذجات الهندسة. وإن قصر الحراء على جماله لم يعنى إلا من معجون الجبس.

لا يأخذنا العجب إذا رأينا السلجوقيين في آسيا الوسطى قد أبقوا لنا صوراً تمثل الصورة الإنسانية. ولئن كان المهندسون في زمنهم سوريين أو روميين فإن الأفكار السائدة في بلاط قونية أن منشأها إيراني زادت انتشاراً بما كان لشمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي الصوفيين العظميين من النفوذ وكان الأول صاحب السر والثاني مؤسس طريقة الدراويش المولوية. وكان سلاطين السلجوقيين مهوسين أشد التهوس بكل ما هو من أصل فارسي حتى أنهم كانوا يدعون أبناءهم بأسماء استخراجها من قصص البطال في الملاحم. وظنت الصناعة التي انتشرت بهذا التأثير محصورة في آسيا الصغرى ولم تنتشر في سائر البلاد الإسلامية.

أخذت العرب صناعة الفسيفساء عن البيزنطيين فاستجلب من الأستانة الخليفة عبد الرحمن إلى قرطبة صناعاً من الروم ليزين مسجدها. وخابر الوليد منذ القسطنطينية ليعث له بالعننة والمواد اللازمة لتزويق المسجد الأموي في دمشق وهي كنيسة القديس يوحنا الدمشقي القديمة. تغير هذا المسجد ولم يبق منه حريق 1893 ما كان سلم من آثاره. وفي سنة 418 هـ (1027م) جرى إصلاح فسيفساء قبة الصخرة كما قرأت ذلك في الصورة الشمسية من الصفحة الثالثة والثمانين من الجزء الثاني الرسم 73 وقد كسى داخل المصانع الإسلامية في القاهرة بأنواع من الرينة صنعت من الرخام على أبعج صورة وأزاهها.

إن ما يرى في مصر من الخشب المنقوش لا يتأتى إلا أن يكون مجلوباً من سوريا أو من آسيا الصغرى. ومعلوم أن في مصر صناعة خاصة بها لا يرى لها أثر في غيرها من الأقطار إلا وهي صناعة المشربيات وهي أقباص نوافذ على طنف بارزة بحيث تكون لنوافذ التي تطل على الشوارع أقباص لنلا يتطوع إلى ما وراءها متطوع ولو بدون قصد. من أجل هذا يستعمل القوم (شعريات) من أقباص خشب رقيق. وفي مصر يستعمل خشب غليظ خرط بالمخرطة وجعل على صورة يتفنن فيها كل التفنن. وفي المتحف العربي في القاهرة حشوات منقوشة غاية في الجمال ومن جعلتها ثلاثة محاريب توفر المسير رافيس على البحث فيها وهي من عهد الفاطميين وقد كانت الحشوات في القرن الثالث عشر أصغر مما هي الآن وخطوطها أدق وأشكالها أكثر تنوعاً وصورها التزيينية مطلقة. وصورت على أبواب البيمارستان القلاووني صور ذات أرواح. والفرق ظاهر بين طريقة هذه المصانع في الصنع والحشوات التي جعلت على القبور الفارغة في ذلك العهد والصورة العامة مربعة في هذه وذات خطوط مستدير في أبواب البيمارستان. ويتجلى الفرق للأنظار بالمقابلة بين النقوش الصغيرة التي وردت في صفحة 100 و 101 الموضوعة إحداها بجانب الأخرى فإن الحشوات صنعة عربية مصرية أما الأبواب فصنعة فارسية. ومن هنا أتت الصور ذات الأرواح. وظاهر أنه كان في ذلك العهد في القاهرة طريقة فارسية في النقوش جاءت زيادة على ما كان فيها من الصناعة الوطنية وليس ذلك من ارتقاء الصناعة الخلية كما لاحظ ذلك المسير ميجون. وارى أنه لم يبين رأيه على صورة باتة كافية وإن شئت فقل على صورة ظاهرة. المنبر في المسجد من المواد التي لا يستغنى عنها فمنه ما يبنى بالحجر مثل منبر

مسجد يرقوق في الصحراء بالقرب من القاهرة ومن العادة أن يعمل المنبر من الخشب. وقد عرفت من المنابر نموذجات بديعة كمنبر مسجد ابن طولون الذي أمر ببنائه أحد سلاطين المناليك السلطان لاجين ولا تزال حشواته العمودية محفوظة في لندرا ومثل منبر قاتيباي ومسجد علاء الدين الأول قاي قوباد في قونية وجامع الزيتونة في تونس وغيرها. وهناك شيء آخر خاص بمساجد مصر وأعني بد الكرسي أو الخزائفة المسدسة الروايا والأضلاع كانوا يضعون عليها المصاحف لتلاوة فإذا فرغوا خبثوها في داخلها وكانت حشواتها مزينة بتطعيم (تزييل) من العاج ومن خشب ملون. ويوضع المصحف في المساجد العثمانية مفتوحاً أو مطبوقاً على دعامة تطبق على شكل تسمى رحلاية. وقد فات المسيو ميجون أن يذكر هذا المتاع الذي يعمل من خشب الجوز المتين ويطعم بأشكال من عرق النؤلز والعاج (صنع الأستانة) على نمط الأخونة الواطئة التي يقال لها اسكمنة.

وفي إسبانيا أجمل إنموذجات من النقش على العاج أخذها المسلمون عن الغوط الغربيين ولم يستطع أحد أن يوفق بين معامل هذه الصناعة ومراكز إخراجها بل ثبت من فحص هذه المصنوعات التي لا تزال محفوظة بكنية وافرة أنها صناعة محكمة تدل على فرط مهارة فنية تقلبت عليها الأحوال بأهوالها ومنها الشرقي ومنا البيزنطي. والنوحان البديعان من العاج اللذان لم يبرحا محفوظين في مجموعة كاران في متحف بارجلنو في فلورنسة هما من أصل يختلف أحدهما عن الآخر ولا نعلم من أمرهما شيئاً يذكر. بيد أن النسور والأسود المرسومة على النوحين هي من أصل آشوري وقد رسمت عليها

رسماً دل على مهارة تحملنا على المقارنة بينها وبين نحاس الموصل وشواطئ دجلة حيث بقية التقاليد الصناعية القديمة محفوظة بحالها خلال القرون الوسطى.

أما الصياغة فقديم العهد رأى الشاعر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في مدينة صور ثريات من الذهب والفضة وفي القدس أبواباً مغطاة بالواح من النحاس بدعة الصنع وفي القاهرة عرش المستنصر الفاطمي معمولاً من الذهب والفضة الخالصة وقد نقشت عليه كتابات وصورت صور صيد وقصص. وإن سقط العاج في كنيسة بايو (فرنسا) المنسوبة بالفضة المنقورة (المخرمة) وأسفاط كنيسة كوار (سويسرا) وسان سيرفي (فرنسا) ومايسترخت (هولاندا) وسان مارك في البندقية لتمثل لأنظارنا ما كانت عليه صناعة الصياغة من البهاء في القرن الثاني عشر. وإلى ذلك العهد يرتقي صنع النحاس الجنيل المنبس الذي حفظ على اليوم ولكن مما لا شك فيه أن ازدهار هذه الصناعة أقدم من ذلك وأن ما نعثر عليه من ذلك التاريخ من الأعلق النفيسة ليس إلا زبدة قرون طويلة وأبحاث متصلة. ولقد تساءل بعضهم عن السبب الرئيسي في انتشار صناعة النحاس الخفور ببلاد ما بين النهرين ولاسيما الموصل. ويوشك أن يكون ذلك من ومجاورة معادن أرغني والخابور بالقرب من مناجم الخابور جبل مغارات الذي يستخرج منه النحاس الخام ويدوب ثم ينقل إلى جميع بلاد آسيا قديماً.

وتبين من عرض هذه المصانع بعضها في جانب الآخر أن التزويق الخفور في صور بارزة هو أقدم طرق النقش على المصنوعات النحاسية. أما تزييل الذهب والفضة فلم يحدث إلا مؤخراً. وقد تغلبت صور البشر والحيوانات في الموصل مما يدل على أن الصناعة

فارسية الأصل حفظ فيها الساسانيون تقاليدهم الصناعية التي يرد عهدهما كما قال لونكبريه إلى عهد الصور البارزة الآشورية.

وقد ساق البحث المسيو ماركس فان يرشم فحلّ الكتابات التي كتبت على أجمل هذه المصنوعات وقسمها قسمين رئيسيين أو مجموعتين أساسيتين إحداهما شرقية انتشرت في خراسان كما انتشرت في الموصل والثانية غربية أي سورية مصرية وهي عبارة عن نحاس صنع في زمن اليوبيين في أوائل القرن الثالث عشر. وكان من غارات المغول أن قطعت زمناً قصيراً سلسلة هذه الأعمال وجاء المماليك في القرنين التاليين فوقوا هذه الصناعة بأعمال اتصل بنا عندها وهي كثيرة. وما صناع الشام ومصر إلا تلاميذ صناع الموصل وهم تخرجوا.

وإذا بحثنا في القنز (النحاس الأحمر) نذهل من رؤية المصانع المنحطة بجملها مثل صورة العنقاء في بيز التي جلبت من مصر على عهد الصنيين وصورة الأيل من صنع الفاطميين الموجود في متحف امة في ميونيخ والجراد الخفوظ في متحف قرطبة والفسوس المعنولة على شكل الأوز والمباخر على شكل البيغاء الخفوظة في متحف النوفر. وما أعجب مصابيح المساجد المصنوعة من القنز والحديد كالتي لا تزال محفوظة في المتحف الأثري في مدريد وقد جيء بها من غرناطة ومثل الموجودة في دارة الآثار العربية بالقاهرة المأخوذة من جامع السلطان حسن وكثير أمثالها.

أما الأسنحة فلم يجر حتى الآن تنظيم تاريخها ولم يذكر هذا المختصر الذي نحن بصدده سوى إشارات موجزة بشأنها. ويرجى أن يطلعنا المسيو موزر ذات يوم على ما وقف عنده وجمعه من الإيضاحات بشأن صنع الفولاذ فتكون أعماله مساعدة لنا على تنظيم

المعلومات المهمة التي حصننا عليها حتى الآن. ولطالما تكلم الناس عن فولاذ دمشق لغرابة سقايتها. ولما أرسل السلطان بيبرس من سلاطين المماليك هدايا سياسية عنى باراق سلطان المغول في تركستان لبعث إليه بأسلحة دمشقية. ولما استولى تيمورلنك عنى دمشق أخذ معه إلى سمرقند صناع الفولاذ الدمشقي. وقد كان في القاهرة في شارع النحاسين الحالي بين القصرين سوق للأسلحة رائجة كثيراً إلا أننا لا نعلم شيئاً عن أصل الأسلحة التي كانت تباع فيها. وليس ثمة ما يدل عنى أنه كان في مصر معامل لصنع نصال الفولاذ وربما كانت تصنع فيها مقابض السيوف وأغمارها ويصنحوها عنى النحو الذي اختاروه وهذا عمل غير عمل نصال الفولاذ ويجب أن يميز عند تنسيق هذه الآثار في المستقبل بين معالم صنع النصال ومعامل تركيبها. ولم يتعرض لذلك كتاب الوجيز ولا يستطيع أن يتكلم الآن إلا عنى المعامل المتأخرة. ومع هذا فقد توصل المسيو بوتين بعد البحث في المقابلة بين النصال إلى أن المعنول منها في دمشق هو مزيج من الحديد والفولاذ وأنه في الأغلب من سكب بلاد الفرس وإذا كانت النصال في الهند ذات لمعة بذوبانها فهي منقوشة بالطرق. وقبل الفتح العربي كانت طليطنة في إسبانيا مشهورة بسقي نصالها. وفتح عبد الرحمن الثاني معنلاً لها (822 — 852) ولم يبق ولا حسام إسباني مغربي من قبل القرن الخامس عشر وما بقي منها مما يرد صنع إلى ذلك العهد جيء به من غرناطة وتاريخ الأسلحة في بلاد فارس والمنكة العثمانية غريب والمعلومات عنه أغرب. وكنا نود أن تكون أغور ما وصننا ولكن تاريخ الأسلحة كنا قلنا سابقاً لم يوضع بعد.

يعرف من يسيحون في الشرق اسم الخنجر والقائمة ومع هذا لا تجد لها ذكراً بين  
 الأسنحة العثمانية والفارسية. ولم يقولوا كلمة عن الزمان والمكان الذي استعير فيه  
 عن السيف القديم المستقيم بنصل معوج. وإن أسنة لارماتح والبنادق والطبجات  
 وقطع الخيل (كوباناقها) على خطارتها عند الساسانيين والمصورين بالخطوط النظيفة من  
 الفرس مما بقي كثير من أمثالها في طي الخفاء قد كان يرجى أن نعرف عنها شيئاً يركن  
 إليه لخطارتها وفائدتها للتاريخ على أنه قد أطيل البحث في صنع الأواني الخزفية وهي  
 صناعة جديرة بأن يفاخر بها. أصلها من فارس وإن لم يذكر المسيو ميحون ذكراً تاماً.  
 وتدل مصانع الأحمانيين في سوس على ذلك دلالة صريحة وربما كانت هذه المصانع  
 موروثه لهم عن المصانع الآشورية.

وتمتاز مساجد وارمين وأصفهان بما جعل على جدرانها من الطلاء الذي يعكس أشعة  
 ذهبية ولكنها عبارة عن قشرة رقيقة من النحاس. ولقد جنبت المربعات الموضوعة  
 لزينة من مساجد سيدي عقبة في القيروان من مدينة بغداد (وهي المدينة التي أنشأها  
 العباسيون بتأثيرات فارسية وكان الفرس الذين أتى بهم أبو مسلم هم سبب رفعتها)  
 جنبها إلى أفريقيا مؤسمة دولة الأغالبة سنة 894 وصنعت معامل مدينة الرقة على  
 الفرات بضع قطع سمنت إلى هذا العهد وكثيراً من بقايا الخزف. وقد الف المسيو  
 فليس عدة كتب للتوسع في البحث عن الأواني الجنوة في فارس وأصلها من الري التي  
 كانت تعرف قديماً باسم راجيس. وإذا كثر البحث في هذا الموضوع سأخ لنا أن نبين  
 تاريخ حدوث هذه الصناعة فقد ذكر أحد الباحثين في هذا الشأن واسم المسيو  
 أوتوفون فالك في كتابه صناعة الكاشاني القديم أن ألواح الزجاج الملونة البراقة التي

بقيت من القرن الثالث عشر في إيران هي دهان عنى سطح مستو وإن المصفحات التي كتبت عليها كتابات بارزة لم تظهر إلا في القرن الرابع عشر. ودامت صناعة التنسيع خلال القرون الثلاثة التالية وبلغت درجة من التفنن غريبة. وإن طبخ بعض القطع برفع الحرارة فيها إلى درجة عالية قد جعلها كالصيني عنى ما يتجنى ذلك فيها. وقد بدأت عنى عهد المغول تأثيرات الصناعة الصينية فانتشرت صور التين وأبي الهول وغصن الخوخ وهو مزهر وكل ذلك من أصل صيني. دلنا ما عثر عنده في مصر في سهل الفسطاط أو مصر العتيقة عنى ما كانت عنده صناعة الخزف عنى عهد الفاطميين. وأصل نقوشها عنى الأقل فارسية وإن كان صنعها يختلف عنى أن المواد الأولية هي من مصر نفسها. وقد أثبت الرحالة ناصر خسرو أمراً غريباً من الأواني الخزفية ذات الألوان المتغيرة التي شاهدها في القاهرة وهذه الألوان هي من صفات الكاشاني الذي ينسب كحد النصال وعليه فيفهم من ذلك أن نظر هذا السائح الفارسي لم يقع في بلاده عنى ما يماثلها ون ما وجد منها في الري لا يرتقي عهده في الحقيقة إلا إلى أواخر القرن الثاني عشر. عنى أن ناصر خسرو رحل في الحادي عشر. وتوجد في هذا النوع صناعة شامية مصرية.

وفي داخل مساجد السنجوقيين في قونية وكنها من القرن الثالث عشر صور متأنق في صنعها من المربعات عنى الكاشاني. وكان محمد بن عثمان المعنم الذي كسا الحوائط بهذا النوع من الفسيفساء (أي الخزف المطلي والكاشاني المقطع) في مدرسة صرت شالو في مدينة طوس في خراسان وهي المدينة التي أصبحت مدينة المشهد وبقي من ذاك العهد هذا الضرب من الزينة في بورصة والأستانة من البلاد العثمانية.

بدء بالبحث في الكاشاني الإسباني المغربي منذ عهد طويل وفي سنة 1844 أظهره ريو كرو أمين متحف السيفر للنسرة الأولى. أما اليوم فقد أثبت تاريخه أحسن ثبوت. والظاهر أن هذه الصناعة جاءت من بغداد. وربما كان ذلك عن طريق القيروان لا تواتر وتعد أواني قصر الحمراء من بدائع صناعة مالقة. ويظهر أنها نشأت في القرن الرابع عشر وهو العهد الذي زار ابن بطوطة في هذه المدينة المعامل التي كانت تصنع فيها الأواني الخزفية الجميلة أو الصيني المذهب. والزينة بتصوير الوعول تدل على بقاء شكل قديم لا يتأتى صدوره إلا من الشرق.

أما صناعة الأقداح المزينة بالميثاق فلا ينيق إغفال الكلام عليها لخطرها. وقد كانت هذه النمودجات من الأقداح في أوائل الفتوحات العربية تستعمل للنعير على صورة أقراص المعجون الكبير كتبت عليها التواريخ ودرسها المسيو كازانوفا للوقوف على حقيقتها. ثم أنك تجد أكواباً منونة بضروب الألوان كقوس قزح لطول بقائها في الأرض. وربما اختلطت أحياناً بالأكواب القديمة والأكواب التي نقشت عليها صور مطبوعة يرغب فيها أرباب الفن رغبة خاصة مثل الكأس الصغيرة المرسوم عليها أسود ووعول وقد اقتناها مؤخراً متحف النوفر. وتشير الأقداح المزينة بالميثاق ولاسيما مصابيح المساجد المصنوعة من الزجاج التي ربما كانت مأخوذة عن مئمة الروم البيزنطية إلى مهارة صناعتها الغربية على حين تدل مادة الزجاج المصنوعة بالفقايق والعيوب على أنها ما كانت بجودتها ابداً من الطراز الأول. ومن هذه المصابيح مجموعة فيها ستون قطعة في متحف الآثار العربية في القاهرة وهي أتم مجموعة وجدت.

ومن المحتمل أن هذا الزجاج لم يصنع في مصر حيث اخترع الزجاج على قول سياح الروم. وتكنم مؤلفو العرب على زجاج صور وذكر الرحالة بنيامين دي توديل أيضاً شيئاً عنها وقال أنه صادف أيضاً عشرة معامل للزجاج في إنطاكية كما قال يعقوب دي فيتري أنه رأى منها في عكا. وقد نقلت هذه الصناعة من صور إلى دمشق وفيها رأى الرحالة بوجيومي سنة 1346 معامل الزجاج تشغل على طول المسجد الأموي وقد أخذ تينورلنك صناع الزجاج إلى سمرقند كما فعل بصناع الفولاذ. وأثبت كتاب العرب والفرس أنه كان في حنب والعراق معامل للزجاج أيضاً.

يتبين من الأقمشة العربية أنها كانت بديء بدء مصنوعة على طراز ساساني أو قبلي أو رومي ويستفاد من حفريات الصنا أن الأقمشة الرومية والقبطية طارت عنها شيئاً واحداً بعد وكان التأثير الساساني فيها مستحكماً فإن صور الحروب والصيد وصور الفرسان الذين يعدون مسرعين ويرمون الأبنال والطلباء بالنشاب هي من الكتابات الفارسية. وقد امتلأت ذخائر كنائسنا بقطع من الأقمشة بقيت زماناً لم تعرف البند التي صنعت فيه وما هي في الحقيقة إلا من صنع الشرق في القرون الوسطى. ثم اشتهرت فارس بعد حين بالأطلس والمخمل (القطيفة) المقطع وقد رسمت عليه صور أشخاص وسط الأزاهير المتكاثفة واشتهرت مدينة كاشان بصنع الاستبرق والحرير.

ولما فتح السلطان سنجان طوريس أخذ نساج الحرير إلى البلاد العثمانية وأنشؤا فيها معامل صنعت هذه الأقمشة الحريرية والمخمل الكتب واشتهرت باسم حرير بورصة. وانتقلت هذه المصنوعات من آسيا الصغرى إلى البندقي وفلورنسة وجين وفرنسا ولم يعودوا يرسمون عليها صور أشخاص واقتصر في تزيين الأقمشة على الأزهار جعلوها

بلا معنى وضعي كما في قطع الأواني الخزفية ويستفيد مما قاله عماري (العالم الإيطالي) أنه كان في صقلية قبل الفتح النورماندي فندق فرش بالوشى وكان ملاصقاً لقصر الأمراء الذين كانوا يحكمون على الجزيرة باسم الفاطميين. ودعت حملات روجر الثاني على بلاد اليونان إلى أن يجلب معه إلى بلومة صناع الحرير واسم مانيانوي الذي يطلق بالإفرنسية على معامل الحرير جاءنا في الأصل من مدينة مان إحدى مدن جنوبي بلاد المورة اليونانية.

ولما غلب هرقل خسرو الثاني عشر الجيش الروماني في قصر يزدجرد (داسكارات الملك) على طنافس مطرزة بالإبرة ووقع في أيدي العرب عندما فتحوا المدائن بسط منسوجة بالذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة. ويعتقدون أن البسط ذات الوبر الكبير من أصل فارسي ومن فارس يجب أن تطلب إلا أنه لم يبق شيء من تلك العصور المتوغلة في القدم. ولأجل تسويق تاريخ البسط رأوا أن يرتبونها بحسب أشكالها والتواريخ التي اهتدي إليها من صور أساليب التصوير الفلامندي والهولاندي والإيطالي. واخترع هذه الطريقة البديعة المسيو لسينج سنة 1877 وكانت أوروبا إذ ذاك غاصة بالبسط التي تجلبها البندقية وبروج فافتق المصورون بنطافة ألوانها وجودة نقشها وبادروا إلى إدخالها في نقوشهم ورسومهم. ويظهر أن البساط القديم المزين بالصور على أسلوب بديع الذي دخل مؤخراً في متحف الإمبراطور فريدرين في برلين واهتم به كل من المسيو كاراباسينك والمسيو ريجل كان أصنعه من قونية من مختلفات سلاطين السنجوقيين الذي حكموا فيها فهو مما صنع في القرن الثالث عشر. أما البسط العجمية المرسوم عليها صور الطيور فإنها من بدائع ما حاكه كبار صنع

الأيدي. وكذلك الحال في البسط المنقوشة بالأزهار الكبيرة ومصايح المساجد والأواني فإنها تُولف طبقة بديعة أيضاً وعنَى العكس في البسط المزينة بصورة مهندسة فإنها من مصنوعات آسيا الصغرى وما زالت إلى اليوم كل من مدينتي جورودس وعشاق من مراكزها العظيمة.

وبعد فهل من الممكن أن نشير إلى ما أثرته الصناعة الإسلامية في صنائع الغرب. نعم إذا أريد بذلك جمع الصنائع الماضية صبرة واحدة وتوحيدها كلها معاً عنى محو ما كانت عنى عهد الفتح العربي وكما يحدث أبداً عندما تنشأ ممالك كبيرة متسعة. وإذا بدل هذا الفتح وجه الشرق كان الداعي إلى اختلاط آسيا العليا بالغرب في عدة أماكن. وإنك لتجد النقوش المسناة (هوم) بلا داع وقد رسمت عليها الشجرة المقدسة أو حياة الآشوريين عنى نحو ما اقتبسها الساسانيون سواء كانت وحدها أو جعل عنى جانبها حيوانات قائمة أو رابضة وكذلك الطريقة القديمة في صراع الحيوانات.

ولقد كانت سفن العرب تتقدم إلى البحر الأتلانتيكي منذ عهد الأسرة الكاروتنجية فحسنت نقود الأمويين بواسطة الصلات التجارية إلى روسيا وبولونيا والدانيمرك والسويد ووجدت أنسجة مكتوب عليها كتابات كوفية محرفة في أطر أبواب الكنائس في نوتردام في بوي نغالي وفي كنيسة فوت شيهان الفرنسيين وعنى كثير من المصانع وفي بعض الحال كما عثر عنى مثل ذلك في أبراج كاتدرائية شارتر وتقل المصورون بعض الصور الشرقية بالحرف.

يرى المسيو ميجون أن يدرس صناعتنا تلك الصنائع لأنها بقوة جمال أشكالها ودقة وضعها وصنعها المعقول ولمعان ألوانها ليس لها ما يشبهها بكثرة الصور واللفظ

السامي. وقد جرب بعضهم تقييد تلك الصنائع فأفلحوا في اقتباسها على نحو ما فعلوا في قباب زاوية قصر المعرض العام سنة 1889 فوضعوا فوق الحديد الذي يحول بين الأقسام واتخذوه حيطاناً مصفحات من الكاشاني ذي النقوش الفارسية فكانت بذلك أو تجربة نجحت في هذا السبيل.

كان بدخ منوك المسنين من الدواعي للصناع أن يرقوا الأساليب التي كانوا يأخذونها تقليداً عن أجدادهم شفاهاً فجددوها وتفننوا فيها فارتقت مع عدة أشكال قديمة بعضها من أصل بيزنطي وهي وارثة اليونان ورومية والآخر ساساني من أخلاف الدولة الأخمانية ولا سيما (في الأمور الصناعية) أو آشوري أو بابلي. ارتقت عدة فروع من الصنائع الإسلامية المنوعة الأساليب وهي ليست من أصل بيزنطي ولا فارسي فيفضل بعضهم التزيين المهندس أو النقوش التي تجعل على هيئة النباتات والأوراق وهو النمط الوحيد الذي بقي في الحقيقة حيث تأصل مذهب أهل السنة. ويمزج بعضهم فيه صور حيوانات ذات روح وهذه ينبغي نسبتها في أكثر الأحوال إلى تأثير فارس. ومن درس الصنائع القابضة لتشكل والتحول كالمهندسة والصنائع اليدوية تتنثل لعينيه القرون الوسطى في الشرق بما أتى به من تمدنه الخاص وما هو إلا مثال المجتمع الذي أوجده القرآن في صورة ظاهرة مؤثرة. فإذا أضيفت إلى ذلك أقوال المؤرخين والجغرافيين لا تبيث أن تطلع على هذا النظام الاجتماعي الذي يختلف من عدة وجوه عن نظامنا وكان ثقلاً على أوروبا كما كان صلة بين العصور القديمة والعصور الحالية.